بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ 12 ذُو الْحِجَّةِ 1447هـ

أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ، وَاجْعَلُوا التَّقْوَىٰ نُصْبَ أَعْيُنِكُمْ، وَجِلَاءَ قُلُوبِكُمْ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْحَيَاةَ كُلَّهَا فِي إِدَامَةِ الذِّكْرِ، وَالْعَافِيَةَ كُلَّهَا فِي مُوَافَقَةِ الْأَمْرِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ الْهَلَاكِ فِي رُكُوبِ سَفِينَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْفَوْزَ فَوْزُ مَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الْقُلُوبَ لِتَكُونَ مَوْصُولَةً بِهِ، لَا يَصُدُّهَا عَنْ ذِكْرِهِ صَادٌّ، وَلَا يَشْغَلُهَا عَنِ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ رَادٌّ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ تَعْرِضُ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ أَدْوَاءٌ وَحُجُبٌ تَحُولُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا خُلِقَتْ لَهُ، وَتُزِيلُهَا عَنْ حَالِهَا الَّتِي أُرِيدَتْ لَهَا، وَمِنْ أَخْطَرِ مَا يَعْرِضُ لَهَا وَأَضَرِّهِ: دَاءُ الْغَفْلَةِ؛ فَإِنَّهُ رُقَادُ الْقَلْبِ، وَانْصِرَافُهُ عَنِ الذِّكْرِ، وَإِعْرَاضُهُ عَنِ التَّذْكِرَةِ، حَتَّىٰ يُتَابِعَ النَّفْسَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ، وَيَفْقِدَ الشُّعُورَ بِمَا حَقُّهُ أَنْ يُشْعَرَ بِهِ وَيُوقَفَ عِنْدَهُ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ هَذِهِ الْغَفَلَاتِ، وَمِنْهَا الْغَفْلَةُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، لَتَأْتِي وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ، وَالْقُلُوبُ لَاهِيَةٌ سَامِدَةٌ، لَا تَنْبَعِثُ إِلَىٰ تَصْدِيقٍ وَإِيمَانٍ، وَلَا تَنْجَفِلُ إِلَىٰ خَوْفٍ وَخُضُوعٍ وَتَضَرُّعٍ وَإِذْعَانٍ، وَتِلْكَ الْحَالُ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ تَكُونُ غَيْرَ قَابِلَةٍ لِلتَّذْكِرَةِ، فَكَأَنَّمَا هِيَ غَيْثٌ يَنْزِلُ عَلَىٰ أَرْضٍ لِيُحْيِيَهَا، لَكِنَّهَا قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً!

وَمِنَ الْغَفْلَةِ: الْغَفْلَةُ عَنِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَمَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ السَّعْيِ لَهَا حَقَّ سَعْيِهَا، وَإِعْدَادِ الْحَرْثِ لَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْحَسْرَةِ لِلْغَافِلِينَ، فَحَظُّ هَؤُلَاءِ الْغَافِلِينَ أَنَّهُمْ مُنْقَطِعُونَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، لَا يَتَجَاوَزُ عِلْمُهُمْ هَذِهِ الدَّارَ إِلَىٰ غَيْرِهَا، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعْلَمُونَ ظَاهِرَهَا الْبَرَّاقَ، دُونَ حَقِيقَتِهَا وَسِرِّهَا، فَيَعْرِفُونَ مَلَاذَّهَا وَمَلَاعِبَهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَيَجْهَلُونَ مَضَارَّهَا وَمَتَاعِبَهَا وَآلَامَهَا، يَعْلَمُونَ أَنَّهَا خُلِقَتْ لَهُمْ، وَلَا

يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا لَهَا، يَشْغَلُهُمْ حَالُ الْإِخْلَادِ إِلَيْهَا، وَالِاطْمِئْنَانِ بِهَا، وَيَغْفُلُونَ عَنْ فَنَائِهَا وَزَوَالِهَا، فَهِيَ قَصِيرَةٌ وَإِنْ طَالَتْ، دَمِيمَةٌ وَإِنْ تَزَيَّنَتْ. فَإِذَا أَتَتِ الْآخِرَةُ الَّتِي غَفَلُوا عَنْهَا، هُنَالِكَ حَقَّتْ حَسْرَتُهُمْ، يَوْمَ لَا تَنْفَعُ الْحَسْرَةُ، فَهَذَا يَوْمٌ يُقْضَىٰ فِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، مِنْهُمْ خَالِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمِنْهُمْ خَالِدٌ فِي السَّعِيرِ، فَأَمَّا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَفِي نَعِيمٍ وَحُبُورٍ، وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَفِي حَسْرَةٍ وَثُبُورٍ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ السَّبِيلَ إِلَىٰ عِلَاجِ هَذِهِ الْغَفْلَةِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْبَصِيرَةُ بِحَالِ الدُّنْيَا، وَإِنْزَالُهَا مَنْزِلَتَهَا، وَتَرْكُ الِاسْتِغْرَاقِ فِيهَا؛ حَتَّىٰ لَا يَسْتَوْلِيَ حُبُّهَا عَلَىٰ الْقُلُوبِ، فَتَغْفُلَ عَنِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ضَرَّتَانِ، بِقَدْرِ إِرْضَاءِ إِحْدَاهُمَا تَسْخَطُ الْأُخْرَىٰ، وَبِقَدْرِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِإِحْدَاهُمَا يَنْصَرِفُ عَنِ الْأُخْرَىٰ، وَلَا عِلَاجَ لِذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ الْآخِرَةُ هِيَ الْغَايَةَ، وَالدُّنْيَا هِيَ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهَا، فَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ فَهِيَ مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وَنِعْمَتِ الْمَزْرَعَةُ.

وَمِنَ الْغَفْلَةِ اللَّاهِيَةِ أَيْضًا: الْغَفْلَةُ عَنِ الِاعْتِبَارِ وَالِاتِّعَاظِ بِأَحْوَالِ مَنْ مَضَىٰ مِنَ الْأُمَمِ، فَمَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ، وَمَا أَقَلَّ الِاعْتِبَارَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ جَالِبَةٌ لِغَيْرِهَا مِنَ الْغَفَلَاتِ، الْمُحِيطَةِ بِأَلْوَانٍ مِنَ التِّيهِ وَالضَّيَاعِ وَالشَّتَاتِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ آمِرًا نَبِيَّهُ بِالذِّكْرِ، وَنَاهِيًا إِيَّاهُ عَنِ الْغَفْلَةِ.

إِنَّ سَبِيلَ الْعِلَاجِ مِنْ هَذِهِ الْغَفْلَةِ هُوَ دَوَامُ الذِّكْرِ، وَمُجَاهَدَتُهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الذِّكْرَ يُنَبِّهُ الْقَلْبَ مِنْ نَوْمَتِهِ، وَيُوقِظُهُ مِنْ سِنَتِهِ، وَالْقَلْبُ إِذَا كَانَ نَائِمًا فَاتَتْهُ الْأَرْبَاحُ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْخُسْرَانَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ وَعَلِمَ مَا فَاتَهُ فِي نَوْمَتِهِ شَدَّ الْمِئْزَرَ، وَأَحْيَا بَقِيَّةَ عُمُرِهِ، وَاسْتَدْرَكَ مَا فَاتَهُ، وَلَا تَحْصُلُ يَقَظَتُهُ إِلَّا بِالذِّكْرِ؛ فَإِنَّ الْغَفْلَةَ نَوْمٌ ثَقِيلٌ.

وَمِمَّا يُؤَمِّنُ مِنْ هَذِهِ الْغَفْلَةِ، وَيَعْصِمُ مِنْهَا: ذَلِكُمُ الْعِلَاجُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ، الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ

بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ.

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْغَفْلَةِ: تَرَاكُمَ الذُّنُوبِ عَلَىٰ صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ، وَكُلُّ ذَنْبٍ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ صَاحِبُهُ؛ فَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْثِيرُهُ عَلَىٰ صَفَاءِ الْبَصِيرَةِ وَنُورِهَا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ فَتُظْلِمُ بَصِيرَتُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّىٰ تَصْدَأَ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ»: صَدَأُ الْقَلْبِ بِأَمْرَيْنِ: بِالْغَفْلَةِ وَالذَّنْبِ، وَجِلَاؤُهُ بِشَيْئَيْنِ: بِالِاسْتِغْفَارِ وَالذِّكْرِ، فَمَنْ كَانَتِ الْغَفْلَةُ أَغْلَبَ أَوْقَاتِهِ كَانَ الصَّدَأُ مُتَرَاكِبًا عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَصَدَأُهُ بِحَسَبِ غَفْلَتِهِ، وَإِذَا صَدِئَ الْقَلْبُ لَمْ تَنْطَبِعْ فِيهِ صُوَرُ الْمَعْلُومَاتِ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَيَرَىٰ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَالْحَقَّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ... فَإِذَا تَرَاكَمَ عَلَيْهِ الصَّدَأُ وَاسْوَدَّ، وَرَكِبَهُ الرَّانُ، فَسَدَ تَصَوُّرُهُ وَإِدْرَاكُهُ، فَلَا يَقْبَلُ حَقًّا، وَلَا يُنْكِرُ بَاطِلًا. وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ عُقُوبَاتِ الْقَلْبِ. وَأَصْلُ ذَلِكَ: مِنَ الْغَفْلَةِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَىٰ؛ فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ نُورَ الْقَلْبِ، وَيُعْمِيَانِ بَصَرَهُ.

عِبَادَ اللهِ: مَازِلْنَا فِي رِحَابِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ (أَيَّامِ التَّشْرِيقِ)، حَيْثُ أَدَّىٰ الْحُجَّاجُ حَجَّهُمْ، وَذَبَحَ الْمُضَحُّونَ أَضَاحِيَهُمْ، وَالْيَوْمُ ثَالِثُ أَيَّامِ الْعِيدِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا يَوْمُ غَدٍ وَتَنْتَهِي أَيَّامُ التَّشْرِيقِ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾، **وَلِلذِّكْرِ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:**

الْأَوَّلُ: الذِّكْرُ مِنْ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ وَمُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الثَّانِي: كَثْرَةُ الذِّكْرِ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

الثَّالِثُ: كَثْرَةُ الذِّكْرِ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ ﷻ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَىٰ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ».

الرَّابِعُ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ خَيْرِ وَأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ».

الْخَامِسُ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ يُعَوِّضُ النَّقْصَ وَالتَّقْصِيرَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ».

السَّادِسُ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ. فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

السَّابِعُ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ يُعْلِي مِنْ شَأْنِ الذَّاكِرِ عِنْدَ رَبِّهِ. فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ».

الثَّامِنُ: الذِّكْرُ يَبْعَثُ فِي النَّفْسِ الطُّمَأْنِينَةَ وَرَاحَةَ الْبَالِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْفَضَائِلِ لِلذِّكْرِ.